الملامح التاريخية والثقافية لمدينة شنقيط وأبعادها التنموية

محمد الراظي ولد صدفن*

المقدمة

لقد عرفت الصحراء الصنهاجية في عهد الدولة المرابطية هجرات بشرية مكثفة من الحواضر المغربية إلي الصحراء، لكنها شهدت بعد سقوط هذه الدولة تسارعا كبيرا جراء المضايقات التي تعرضت لها الجماعات والشخصيات المعروفة بولائها للمرابطين ومذهبهم.

واستمرت تلك الحركات البشرية إلي حدود القرن السابع الهجري (14م) بوصول القبائل المعقلية تباعا إلي مستقرها الشنقيطي.

لقد كان لهذه الحركة البشرية وما صاحبها من تحولات، تأثيرات مهمة علي المدن التجارية الصحراوية، التي من أهمها، ولاته علي التخوم الصحراوية السودانية، وتيشيت الواقعة إلي الغرب منها، ثم وادان وشنقيط علي الهضبة الشمالية.

وظلت هذه المدن تستقبل التجار والرحالة و العلماء والفكر القادمين من المغرب والمشرق. وقد أدي العلماء في هذه الحواضر دورا أساسيا في نشر العلم بين صفوف القبائل وتعميق مضامينه.

ونتيجة لذلك، فقد اضطلعت هذه المدن التاريخية المصنفة اليوم ضمن التراث العالمي بدور كبير في النهضة الفكرية والثقافية التي عرفتها البلاد خلال القرنين(17و18 م)، وعملت علي ترسيخ ثقافة عربية إسلامية ذائعة الصيت في المغرب والمشرق الإسلاميين، وفي كثير من البلدان الإفريقية.

---

*- أستاذ باحث بقسم التاريخ/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية

ويسعي هذا البحث إلي تلمس الملامح التاريخية والثقافية لمدينة شنقيط علي وجه الخصوص، وتسليط الضوء علي الإمكانات المتاحة من أجل صيانة وتنمية موروثها الثقافي.

وقبل الدخول في التفاصيل المتعلقة بالموضوع يجدر بنا في البداية أن نتحدث عن البعد التاريخي للمدينة وعن أهم مكوناتها الثقافية.

1) تاريخ نشأة مدينة شنقيط

شنقيط في الأساس هي مدينة من مدن منطقة آدرار (في شمال موريتانيا) ، يرجح أنها تأسست في موقعها الحالي سنة 660 هجرية. ويذهب بعض الباحثين إلي اعتبارها امتدادا حضاريا وبشريا لمدينة قديمة تسمي "آبير" كانت قد تأسست سنة 160 هجرية، إذ أن المجموعة السكانية التي كانت تعمر "آبير" هي نفسها التي أسست المدينة الجديدةالقديمة[1].

وتذكر الروايات المتعلقة بتأسيس شنقيط الجديدة أن بعض مؤسسيها قدموا من تبلبالت وسكنوا في "آبير" (المدينة العتيقة) لمدة طويلة قبل أن ينتقلوا إلى الموقع الجديد سنة 660 هـ. ولم تعرف المدينة ازدهارها الحقيقي، الاقتصادي والثقافي إلا في القرن 12هـ/17م عند ما شكلت ملتقى للقوافل المتنقلة بين المغرب الأقصى والسودان الغربي مما جعلها حلقة مهمة في اقتصاد المنطقة. كما أصبحت بداية من هذا التاريخ مركزا لانطلاق ركاب الحجيج من غرب الصحراء وغرب إفريقيا إلى ديار الإسلام بالحجاز، الأمر الذي أدى إلى إطلاق إسمها على كافة المجال الموريتاني الحالي[2]. وهو ما يجرنا للحديث عن المكونات الثقافية للمدينة.

---

[1]- ددود بن عبد الله، الثقافة والفكر ببلاد شنقيط، تاريخ موريتانيا (فصول ومعالجات)، نواكشوط 1999، ص 61.

[2]- أحمد ابن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط 4، القاهرة، 1989، ص 422.

II) المكونات الثقافية لشنقيط

1) ركب الحاج الشنقيطي وأهميته الثقافية

تعتبر فريضة الحج في الإسلام هي الدافع الأساس وراء سفر آلاف الحجاج من غرب الصحراء وغرب إفريقيا إلى الحجاز كل سنة. وفي هذا السياق كان سكان مدينة شنقيط ينظمون ركبا للحجيج كل سنة، يتكون من مختلف حجاج الأقاليم الموريتانية لينطلق من هذه المدينة متجها صوب المغرب فالقاهرة، فالحجاز[1]. وقد أورد العلامة سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم العلوي المتوفى 1233هـ/ 1818م في رسالته "صحيحة النقل في علوية إدوعل وبكرية محمد غلي" المكتوبة سنة 1205هـ/ 1790م ما نصه: "وكان الركب يمشي من شنجيط إلى مكة كل عام، ويحج معهم من أراد الحج من سائر الآفاق حتى أن أهل البلاد، أعني من الساقية الحمراء إلى السودان إلى أروان ، يعرفون عند أهل المشرق إلى الآن بالشناجطة...."[2].

وقد أدت عملية التكتل الحجي هذه إلى بلورة فضاء ثقافي واجتماعي خاص بشنقيط من خلال زيها الموحد الذي ميزها عن غيرها من سائر حجاج الأقطار الأخرى. ولهذا، فقد أصبح إسم مدينة شنقيط والشنالقطة رائجا عند المشارقة، وعمموا إسم مدينة شنقيط على كامل القطر وحجاجه، فكان ذلك من باب تسمية الكل باسم الجزء، مجازا، وتعريف البلد بأشهر مدنه.

---

[1]- حماه الله ولد السالم، مظاهر الصلاة العربية- الإفريقية من خلال ركاب الحاج والأوقاف في الفترة الحديثة، مصادر (كراسات التاريخ الموريتاني)، الكراس الرابع، نواكشوط، 2000، ص63.

[2]- ابن الأمين الشنقيطي، الوسيط، مصدر سبق ذكره، ص 426.

ولعبت مدينة شنقيط إلى جانب وادان وتيشيت أدوارا حيوية في الانتعاش الاقتصادي الذي عرفته الطريق الغربية للتجارة الصحراوية، وذلك مع نهاية القرن 16م عندما تحول مركز الثقل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي نحو الساحل الأطلسي والمناطق المحاذية له[1].

ورغم التدهور الذي عرفته الأوضاع في السودان الغربي والمغرب الأقصى عموما خلال القرنين 17-18م، فقد حافظت شنقيط على موقعها كهمزة وصل بين الشمال ومنطقة الغرب الإفريقي وهو ما مكنها من لعب دور محوري في تعميق الصلات الثقافية بين المشرق والمغرب الإسلاميين من جهة، وإفريقيا جنوب الصحراء من جهة ثانية.

ولهذه الأسباب وغيرها، فقد شكلت،شنقيط واحدة من أهم الحواضر الصحراوية الحاضنة للثقافة العربية الإسلامية في أبهى صورها. كما ساهمت بشكل فاعل في النهضة العلمية والفكرية التي عرفتها البلاد خلال هذه الحقبة من تاريخها.

2) النهضة العلمية والفكرية في شنقيط

يعتبر مسجد المدينة المؤسسة التعليمية الرئيسية، المفتوحة أمام كل المتعلمين. ويترأس الإمام كل المجالس العلمية التي تعقد فيه، من قراءة للقرآن وسرد الكتب، وذلك إلى جانب الكتاتيب التي تعلم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة، أضف إلى ذلك أن منازل كبار العلماء كانت تعد بمثابة معاهد للدراسات المعمقة، وتقدم أساسا لطلبة الشيخ، لاسيما من وصلوا مرحلة "الملازمة" وهي المرحلة التي يكون فيها الطالب قد أكمل تعليمه

---

[1]- محمد المختار ولد السعد، موريتانيا في العهد الحساني، تاريخ موريتانيا، فصول ومعالجات، نواكشوط، 1999، ص 104.

وأصبح مكلفا بتقديم الدروس نيابة عن الشيخ. وكثيرا ما يقوم النابهون من المجازين برحلات إلى المغرب والمشرق، لاستكمال زادهم العلمي والتحلي بإجازات جديدة، تكون ما أمكن عالية السند[1].

ولقد كانت الحواضر العلمية في المغرب الأقصى مركز جذب أساسي للشناقطة، حيث ازداد الإقبال على الأسانيد المغربية لاسيما خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (17-18م). أما الإقبال على الأسانيد المصرية، فقد كان مكثفا خلال القرنين التاسع والعاشرالهجريين (15-16م)،. في حين يعتبر الحجاز المصدر الثالث الذي استقى منه الشناقطة إجازاتهم. ولاشك أن الرحلات الدينية (لتأدية فريضة الحج) والعلمية (الدراسية) من أهم الروافد التي مكنت أهل شنقيط من تشييد مكتباتهم ومدها بالمتون.

ومما يميز الثقافة الشنقيطية عموما رسوخ المالكية فيها، فقد كان الاعتماد على مختصر خليل وشروحه وحواشيه أمرا شائعا بين علماء شنقيط. ومن أشهر علماء هذه المدينة الذين نبغوا في العلم نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- أحمد اقد الحاج
- الطالب محمد بن مختار بن الأعمش
- محمد بن أبي بكر الهاشمي الغلاوي
- الطالب أحمد بن الحاج حماه الله
- الفقيه القاضي (عبد الله بن محمد بن حبيب)
- الطالب محمد احمد ابن عبد الرحمن

---

[1]- ددود بن عبد الله، الثقافة والفكر ببلاد شنقيط، ص 86.

- سيدي عبد الله بن محم بن القاضي الملقب ابن رازقة

وقد لعب الفقيه دور القيم على مجتمعه، فهو يعارض المخالفات التي يرتكبها الأفراد، ويضرب على أيديهم ما أمكن ويغلظ في القول على الحكام، لكنه في نفس الوقت يدافع عن الشرعية القائمة ويعارض الثورة على الحكام. حتى وإن كان يعتبرهم مجرد متغلبين. ولعل لهذه الاعتبارات الاجتماعية والسياسية علاقة بهيمنة الخطاب الفقهي دون غيره من الخطابات الثقافية الأخرى،)مثل علوم اللغة والحساب... إلخ)[1].

وخلاصة القول، فإن مجالس العلم في شنقيط كانت ثرية ومتنوعة، حيث توجد إلى جانب المتون التي تقرأ للتعليم في المسجد، متون أخرى "تسرد" تبركا بها في أوقات محددة، يحضرها عامة المؤمنين[2]. وأهم مناسبات ذلك مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ورمضان ورجب وشعبان ويوم الجمعة.

ومهما يكن من أمر، فإن الثقافة الشنقيطية قد احتضنت منذ نهاية القرن الحادي عشر الهجري (16م) على الأقل فئة "الزوايا" التي تتشكل من قبائل، بعضها مقيم في المدن وبعضها ظاعن يعيش على الترحال الدائم، دون أن يخل ذلك، كبير إخلال بسير العملية التربوية. وللتكيف مع هذه الوضعية ظهرت مؤسسة "المحضرة" التي اعتبرت من طرف بعض الباحثين على أنها جامعات بدوية متنقلة فريدة من نوعها في العالم الإسلامي[3].

---

[1]- ددود بن عبد الله، الثقافة والفكر ببلاد شنقيط، ص 81

[2]- ددود بن عبد الله، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين 11 و12 هجري، بحث لنيل شهادة الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ، 1993، ص81

[3]- الخليل النحوي المنارة والرباط، عرض للحياة الثقافية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة(المحاظر)، تونس 1987، ص354

وهكذا استطاع الشناقطة أن يحققوا نهضة ثقافية نموذجية تحت الخيام وعلى ظهور العيس وفي مجاهل "الصحراء" وخير شاهد على ذلك ما تزخر به اليوم المكتبات الأهلية في شنقيط من مخطوطات نفيسة وكتب وأراجيز شملت جميع ميادين المعرفة. وقد غطت العديد من فروع الثقافة العربية الإسلامية، كالتفسير والفقه والعقائد والسيرة وعلوم القرآن والحديث والتصوف وعلم الكلام والنحو واللغة والآداب والشعر والتاريخ وعلم الفلك والمعاجم... إلخ.

ومن أشهر تلك المكتبات اليوم مكتبة أهل حبت، ومكتبة أهل أحمد محمود ومكتبة أهل لوداعة ومكتبة أهل أحمد شريف ومكتبة أهل عبد الحميد. وهي، في واقع الأمر، تشكل ثروة علمية كبيرة تجب صيانتها والمحافظة عليها. وليس لنا من قول في هذا الصدد إلا ما قاله أحد الشعراء الشناقطة النابهين:

إذا الفتى مات عن علم وعن كتب وكان ذا ولد فليحفظ الكتبا

3) الفن المعماري بشنقيط

لا نمتلك معلومات دقيقة حول أصول النمط المعماري بمدينة شنقيط، لأن شنقيط الأولى المعروفة "بآبير" لم يبق منها سوى واحة صغيرة للنخيل، وقد اندثرت المدينة، بشكل كامل، وهذا ما يتطلب القيام بحفريات جديدة وإخضاعها لتحاليل مخبرية دقيقة.

وعموما يمثل الفن المعماري للمدينة شواهد حية عن أصالتها وماضيها التاريخي ويعطي في الوقت نفسه فكرة عن ازدهارها الاقتصادي والاجتماعي.

ويعتبر مسجد شنقيط أهم بداية تاريخية في المدينة وأقدمها، حيث يرجع تشييده إلى القرن السابع 660هـ[1]. ويتكون المسجد من ثلاث وحدات هي صحن مفتوح وبيت صلاة، إضافة إلى المئذنة. وقد خضع هذا المسجد لجملة من التحويرات شملت أساسا بيت الصلاة، خاصة بعد ترميم المسجد سنة 1378هـ/ 1959م، وقد أدت هذه التحويرات إلي ما يلي[2]:

- ردم ما يربو على متر ونصف من قاع بيت الصلاة،
- إضافة باب خامس إلى الأبواب الأربعة الأصلية للمسجد، وإلحاقه بالمقصورة المخصصة للنساء،
- تغيير في مستوى المواد الموظفة في السقف (إبدال جذوع من أشجار تيشط محل جذوع النخل) وجذوع أخرى غير متجانسة،
- طلاء المحراب والمنبر بطين أبيض،

وتعد مئذنة مسجد شنقيط العنصر الأكثر جمالا من بين جميع الوحدات المكونة لهذا المعلم العمراني الفريد من نوعه. كما أن تماسك هذه المئذنة وحسن صنعتها إن دل علي شيئ، إنما يدل على المهارات الواسعة التي اكتسبها بناؤو شنقيط عبر العصور وعلى درجة الإبداع والبراعة والإتقان الفني التي وصلوا إليها.

وعلى الرغم من حجم الخراب الكبير الذي تعرضت له مدينة شنقيط ضمن نسيجها الحضري على مر الزمن، بفعل عوامل التعرية، وزحف

---

[1]- سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم، صحيحة النقل، في علوية إدوعل وبكرية محمد قلي، مخطوط دار الثقافة، نواكشوط.

[2]- أحمد مولود ولد أبده، الصحراء الكبرى (مدن وقصور)، الجزء الثاني، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص، 146، 148، 149، 150، 151.

الرمال التي حاصرت الحي القديم، وتأثير سنوات الجفاف خلال الستينات والسبعينات من القرن المنصرم، وما صاحب ذلك من تسريع في وتيرة نزوح سكانها إلى مراكز الجذب الجديدة بحثا عن حياة أفضل، فإن المدينة حافظت على طابعها العمراني المتميز، الذي لا يزال ماثلا للعيان حتى اليوم. ويتجلى ذلك بشكل فعلي في فن عماراتها وأنماطه المختلفة.

ا) النمط العمراني في شنقيط ومكوناته

يشترك النمط العمراني للسكن في مدينة شنقيط في عدد من العناصر المكونة للسكن في ولاته ووادان وتيشيت وأهم هذه العناصر هي:[1]

- المدخل،
- الصحن،
- الحجرة الرئيسية (السكفة)،
- الحجرات الثانوية (التي يخصص بعضها للسكن والبعض الآخر لتخزين المؤونة الغذائية الموجهة للاستهلاك العائلي أو لتخزين البضاعة).

وتستجيب هذه المساكن لبعض الضروريات المتعلقة بحاجيات الإنسان مثل المطبخ، والمرحاض، إضافة إلى وجود حظيرة للدواب المنزلية، مثل الماعز والبقر، التي تعتبر مصدر مهم يعتمد عليه السكان في معاشهم.

وقد تأثر فن العمارة بشنقيط بتأثيرات جديدة حيث دخلت بعض التصاميم السكنية الجديدة على أيدي بعض تجار جنوب المغرب الأقصى استقروا

---

[1]- أحمد مولود ولد أيده، الصحراء الكبرى (مدن وقصور) نفس المرجع السابق، ص، 186.

بشنقيط لتعاطي التجارة خلال القرنين 12-13هـ[1]. وظهرت حجرات جديدة في المسكن الشنقيطي مثل "تكدل" و"المصرية".

وتعتبر حجرة "تكدل" من أكبر الحجرات في المسكن الشنقيطي وهي تجمع بين بعض من خصائص (السكفة) مع مؤشرات معمارية دخيلة، وهي في الوقت ذاته تمثل مستوى مهما من تطور المسكن بهذه الحاضرة.

وخلاصة القول فإن تجارة القوافل الصحراوية حملت مؤثرات كبيرة ومتنوعة لحق بعضها فنون العمارة الشنقيطية، باعتبار أن الوافدين والتجار المقيمين كانوا يقتبسون طريقة تصميم دورهم على طراز مواطنهم الأصلية. ولذلك تغيرت بنية السكن الأصلية في هذه الحاضرة.

ولئن كانت مساكن هذه المدينة تتميز ببساطة الأسلوب المعماري عموما، غير أنها ذات قيمة تراثية كبيرة. وقد انتشرت في العقود الماضية ظاهرة بيع الدور القديمة لهدمها ونقل حجارتها إلى أماكن خارج محيط المدينة العتيقة، في وقت غاب فيه أي نوع من أنواع الوعي التراثي والشعور بأهمية ترميم هذه الدور وتدعيمها. وقد آن الأوان، لكي يدرك أهل شنقيط وساكنته أهمية الحفاظ على فنهم المعماري كجزء لا يتجزأ من أصالة ماضيهم الثقافي وركيزة أساسية من ركائز تنمية مدينتهم التاريخية.

4) الصناعة التقليدية الشنقيطية

تعتبر الصناعة التقليدية "حرفة" قديمة في مدينة شنقيط وذلك بالنظر إلى قدم المدينة.

وليست لدينا المعطيات التاريخية الدقيقة حول البداية الفعلية لتعاطي هذا النشاط الحرفي الحيوي في أوساط السكان المحليين، لكن كل المؤشرات

---

[1]- أحمد مولود ولد أيده، الصحراء الكبرى، مرجع سبق ذكره، ص، 197.

التاريخية من خلال البحوث الأثرية والتاريخية التي قيم بها، تشير إلى الاستخدام الكبير لمواد هذه الصناعة (من نحاس وحديد وخشب وجلود) وذلك خلال مختلف الحقب التاريخية لهذه الحاضرة.

وفي هذا السياق يمكن أن نصنف المجالات الحيوية لهذه الصناعة إلى أربعة تخصصات:

- صناعة الحلي (المجوهرات) وهي تعتمد على مواد الذهب والفضة،
- صناعة الخشب (النجارة التقليدية)،
- صناعة الجلود (الدباغة)،
- الحدادة (التي تستخدم جميع أنواع الخردة)،

وقد كانت هذه الصناعة تلبي الحاجات الأساسية بالنسبة للسكان، وذلك من خلال توفيرها للأدوات المختلفة التي تحتاجها الحياة الحضرية والبدوية على حد سواء. (من أدوات للخيمة وأدوات منزلية ومن سقوف وأبواب ونوافذ للمنازل، وحلي، وأحذية وغيرها...)[1].

وقد سجل بعض الرحالة الفرنسيين الذين زاروا المنطقة، إعجابهم الكبير بصائغي الذهب ومصنعي الحلي الشنقيطية، مؤكدين على جودة أدوات الزينة وحلي النساء التي تلقى رواجا في الدول الإفريقية المجاورة[2]. وتشمل أدوات الزينة المختلفة على الخصوص الحلي والمجوهرات والأحجار الملونة،.... وغير ذلك من أدوات مختلفة. وكل هذه الأدوات هي ثمرة لخبرة

---

[1]- محمد فال ولد احمد، الصناعة التقليدية عند البيضان وآفاق تحديثها، الملتقى الدولي حول التراث الثقافي الموريتاني، نواكشوط، 1999، ص، 199.

[2]-) Xavier golbery, Fragments d'un voyage en Afrique ; paris 1802: p 319

الصناع التقليديين ولأياديهم الماهرة. كما أنها تمثل تكيفا جيدا مع المحيط الطبيعي المحلي، وتبرهن على قدرة هذه الفئة الاجتماعية، على إنتاج التقنية الملائمة لحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية بالنسبة للمجتمعات الصحراوية التقليدية[1]. وتضطلع النساء بدور مهم في مجال صناعات الجلود التي تتنوع بتنوع هذه الصناعة. وتشكل اليوم التجمعات النسوية في شنقيط المنضوية في إطار تكتلات أو تعاونيات للصناعة التقليدية، مكونة أساسية من مكونات النسيج الاقتصادي والثقافي للمدينة.

5) الفلكلور والفنون الشعبية في شنقيط

لا يخفى على أحد الأهمية الكبيرة التي يحتلها الفلكلور والفنون الشعبية في حياة الشعوب. وقد اهتم الشناقطة قديما بهذا النمط من ثقافتهم الشعبية، حيث كان إقبالهم شديدا على المدائح النبوية. وكان يوجد في مساجدهم مداحون مشهورون، حيث ينعقد مجلس المديح كل ليلة جمعة، بعد قراءة الحزب، فينشد المداحون قصائد مختلفة في المديح النبوي[2].

وما زال أهل شنقيط اليوم يحتفظون بالكثير من أنواع المديح والأغاني والحكايات والأساطير والخرافات والسير البطولية والألعاب الشعبية التي ورثوها عن أجدادهم الأوائل، وهي متداولة بشكل واسع في مختلف أوساطهم الاجتماعية.

ويعتبر الطبل من أهم أدوات الفلكلور الشعبي الغنائي بالنسبة لأهل شنقيط ،وقد أثار انتباه الفرنسيين الأوائل الذين زاروا المنطقة، نتيجة لدقة صنعه، ومهارة الطبالين الذين يقرعونه وانسجام أصوات المداحين وجودة

---

[1]- عبد الله افال، تاريخ والتراث الثقافي الوطني، الإسهام الخاص لبعض الفئات في الوسط البيضاني، الملتقى الدولي حول التراث الثقافي الدولي، اتواكشوط 1999. ص178

[2]- دود بن عبد الله، مرجع سابق، ص 80.

أدائهم للمدائح التي يؤدونها، وقد اعتبر هؤلاء الفرنسيون أن الطبل هو الآلة الموسيقية التي يعتمد عليها البيضان في حفلاتهم للراقصة[1]، وأهم هذه الحفلات، حفلات الزفاف وليالي الجمعة وأيام الأعياد.

ويبدع في هذه المناسبات، أصحاب المزاميرمن خلال تناغم الأصوات التي يطلقونها مع المقامات الغنائية المختلفة، ومحاكاتهم لعدد كبير من أصوات الطبيعة ذات العلاقة مع البيئة الإجتماعية والثقافية المحلية.

ويحتل الزي المحلي التقليدي الأصيل مكانة مهمة ضمن هذه التظاهرات، ويضفي علي الحياة الثقافية بالمدينة رونقا خاصا.

وأمام التمدن السريع وطغيان ظروف الحياة اليوم ،وانفتاح المجتمع علي كل أنواع التأثيرات الخارجية، فإن هذا النوع من التراث الثقافي، يظل مهددا بالإنقراض. وهذا ما يطرح بإلحاح ضرورة وضع خطة ثقافية استعجالية تأخذ بعين الإعتبار في المقام الأول المحافظة عليه والعمل علي تنميته، وذلك في إطار سياسة تنموية شمولية ومستديمة بالنسبة لهذه المدينة.

III) التنمية الثقافية في شنقيط وآفاقها المستقبلية

يمثل التراث الثقافي في مدينة شنقيط، بحكم تنوعه، وتعدد وسائطه المختلفة (من رمال شاسعة ومعالم أثرية ونقوش وفن معماري أصيل، ومخطوطات، مرتكزا أساسيا، من مرتكزات التنمية الثقافية وذلك من خلال تشجيع السياحة الثقافية بالمدينة.

---

[1]- محمدو بن محمدن، التراث الموريتاني ونظرة الآخر، (قراءة في أدبيات فرنسي القرن التاسع عشر، الملتقى الدولي الأول حول التراث الثقافي الموريتاني، 1999، ص، 142.

1) السياحة الثقافية في شنقيط وسبل تنميتها:

إن تطور النشاط السياحي في البلاد خلال العقود الأخيرة الماضية شكل مصدر اهتمام كبير بالنسبة لساكنة هذه المدينة. وعلى الرغم من تنوع الفاعلين المتدخلين في القطاع السياحي عموما، فإننا نصنف ثلاثة مجموعات أساسية، يمكنها أن تلعب دورا حيويا في تنشيط التنمية السياحية وهي على التوالي:

- للدولة (ممثلة في قطاعاتها المركزية وشركائها في التنمية).
- هيئات المجتمع المدني (منظمات غير حكومية، تجمعات محلية، تعاونيات، رابطات ثقافية ورياضية، منظمات غير حكومية أجنبية وبلديات... إلخ).
- للقطاع الخاص: (ويشمل الفاعلين المحليين الذين يمارسون النشاط السياحي والفاعلين الثقافيين الآخرين وشركائهم الخارجيين.

ولبلوغ الأهداف المنشودة، فإنه يتوجب على كل هؤلاء المتدخلين العمل على تبني سياسة تشاركية في إطار ترقية النشاطات السياحية بالمدينة.

وفي هذا السياق تجب الإشارة إلى ضرورة الإسراع بتنصيب "نقابة مبادرات تنموية" مشكلة من مختلف المجموعات المهنية العاملة في الحقل الثقافي والسياحي عموما (من أصحاب شركات ونزل سياحية، ملاك مخطوطات، بنائين، وصناع تقليديين، مسيري قوافل، أدلاء، ملاك واحات النخيل.... إلخ، إضافة إلى منتخبي المدينة ووجهائها وسلطاتها الإدارية).

تسند إلى هذه الهيئة مهام وضع خطة عمل إستراتيجية، تأخذ بعين الاعتبار جرد لمختلف الأنشطة ذات الأولوية بالنسبة للسكان، التي ينبغي القيام بها.

ويتوجب علي هذه الهيئة، أن تضطلع بدور للشرطي في المحافظة على الوجه الحضاري للمدينة وخصوصيتها الثقافية، والمكافحة بشتى الطرق، لكل ما يهدف إلى المساس بذلك، وأن تكون واجهة بين السكان وجميع الشركاء التنمويين العموميين والخصوصيين. ولهذه الاعتبارات، فهي مطالبة بالقيام بما يلي:

- حملات تحسيسية منسقة حول الأولويات التنموية بالنسبة للمدينة، تستهدف الدولة، والمجموعات المحلية والشركاء في التنمية.
- إنشاء لجان محلية للتشاور تضم ممثلين عن مختلف المتدخلين في حقل صيانة وتثمين التراث (الدولة، القطاع الخاص، المجتمع المدني)،
- تعبئة الفاعلين في المجتمع المدني حول مخاطر نهب التراث وتنشيط دور الرقابة على ذلك بالتعاون مع السلطات الجمركية والشرطة المحلية،
- خلق إطار خاص لملاك المخطوطات وتقوية قدراتهم الذاتية، من خلال تنظيم برامج تدريبية على فهرست المخطوطات وآليات الصيانة والحفظ والمعالجة المختلفة.
- القيام بأنشطة تنموية وتجسيدها على أرض الواقع،
- حث القطاع الخاص على المساهمة في العمل الخيري وتبني خطط واضحة في هذا المجال،
- المشاركة في تسيير المواقع السياحية والعمل على الحد من مخاطر الاستخدام المفرط لهذه المواقع وآثاره السلبية على البيئة،

- صياغة مشاريع تنموية ثقافية وسياحية متناغمة مع المحيط الطبيعي والثقافي لشنقيط، ذات جدولة وقابلة للتحقق تراعي بعد التشغيل وتنمية النشاطات الاقتصادية التقليدية وديمومتها، إضافة إلى متابعة تنفيذها ومراقبة تسييرها،
- تكوين الشباب في مجالات حفظ التراث وتوفير الأدوات الضرورية لذلك من كتب وآلات للحفظ،
- إعداد ميثاق شرف محلي لصيانة التراث وحفظه،
- ترويج منتجات الصناعات الثقافية بمختلف أصنافها وتطوير التعاون والشراكة في مجال العمل الثقافي،
- إنتاج أقراص وأشرطة سمعية بصرية لإبراز الخصائص الفنية المعمارية لشنقيط والتعريف بفلكلورها الشعبي وبمواقعها الأثرية والسياحية.

وتجدر الإشارة إلي أن جهود هذه الهيئة لا يمكن أن تعطي أكلها دون مساهمة فاعلة من طرف الدولة وشركائها.

أ) المساهمات المطلوبة من الدولة:

– تحسين الإطار القانوني للعمل الثقافي ومواءمته مع متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في شنقيط (باعتبارها مدينة مصنفة ضمن التراث العالمي)،

– المصادقة على كل الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالتراث المادي المحسوس وغير المحسوس،

– إدماج حماية التراث في السياسات المتعلقة بالإصلاح الترابي وإجراء دراسات ومسوح شاملة حول التراث الثقافي والطبيعي للمدينة،

_تشييد البني التحتية والخدمية الضرورية للمدينة وفك العزلة عنها،

-حماية المدينة من زحف الرمال عن طريق إنشاء أحزمة خضراء،
- العمل على إشاعة استخدام المعلوماتية وربط جميع الفاعلين العموميين والخصوصيين في شنقيط عن طريق الشبكة العنكبوتية (انترنت)،
- تثمين الكفاءة التقليدية المحلية،
- إنشاء دار للفنون والصناعة التقليدية بشنقيط،
- إنشاء متحف خاص بالمدينة وتزويده بكل المقتنيات الضرورية،
- دعم قدرات التجمعات المحلية فيما يتعلق بتسيير التراث المحلي وتجهيزهم بالمعدات ووسائل الحفظ،
- استحداث ضريبة محلية على النشاط السياحي توجه إلى دعم جهود التنمية الثقافية المحلية،
- ترقية المبادرات التنموية الخاصة لكل الفاعلين المحليين من خلال توفير صناديق صغيرة للدعم ووضع شروط محكمة للاستفادة منها،
- تمويل مشاريع للتنمية المندمجة في المدينة تشارك فيها جميع قطاعات الدولة.

ب) المساهمات المطلوبة من الشركاء في التنمية والمؤسسات الدولية:

- تعتبر هذه الهيئات أجهزة فاعلة في مواكبة الدول ومساعدتها على تطبيق سياساتها التنموية على أرض الواقع. وتختلف هذه الهيئات وتتنوع تبعا لأهدافها وطرق وأساليب عملها. ويمكن لهذه الهيئات أن تتدخل في المجالات التالية:

- دعم وتطوير القدرات البشرية لمختلف الفاعلين المحليين من خلال تحسين مهاراتهم ومواكبة أنشطتهم بالدعم الفني في كل مجالات تخصص التراث الثقافي:

(الفندقة – السياحة – المخطوطات – الفن المعماري، الصناعة التقليدية... المكتبات والأرشفة – الآثار إلخ)،

- المساعدة في القيام بالمسوح والفهارس الخاصة بالتراث)،
- توفير أدوات للتسيير وحفظ التراث،
- تمويل نشاطات نموذجية خاصة بالتنمية الثقافية في المدينة (مهرجانات – تظاهرات علمية – معارض)،
- المساهمة في دعم الإستراتيجية الوطنية لتنمية المدينة التي تتبانها الدولة.
- تمويل الأنشطة الخاصة بالبحوث الأثرية،
- تمويل أنشطة خاصة بطباعة ونشر الكتب ذات القيمة التراثية والعلمية الكبيرة (من مخطوطات ومؤلفات علماء) وتحقيقها وترجمتها إلى لغات أجنبية متعددة،
- المساهمة في إعداد إستراتيجية واضحة لحفظ المخطوطات بشنقيط وتوفير التمويلات الضرورية لذلك (من خلال توفير مخابر للترميم والصيانة والحفظ)،
- تمويل الأنشطة الخاصة بجمع ونشر التراث الشعبي الذي يرمز إلى الثقافة الحية في شنقيط والمستودع الرئيس للعادات والتقاليد والمعتقدات والقيم الأصلية،
- دعم إستراتيجية للإعلام والاتصال من أجل التعريف بشنقيط وتراثها الثقافي ودورها الحضاري.

2) الصناعة التقليدية في شنقيط ودورها في التنمية السياحية:

على الرغم من أن الصناعة التقليدية اليوم هي الدعامة الأساسية للسياحة الثقافية، فإن تنمية هذا النشاط في شنقيط ما زال يواجه بعض

المعوقات ولم يستفد بما فيه الكفاية من التقدم الحاصل في مجال السياحة الذي تعرفه المدينة[1].

ويمكن أن نرجع ذلك إجمالا إلى الأسباب التالية:

- نقص في نوعية المنتوج،
- غياب قنوات للتوزيع،
- غياب الدعم المالي والفني،
- عدم وجود إستراتيجية لترقية منتوجات الصناعة التقليدية،
- ضعف قدرات التسيير والتنظيم لدى الصناع التقليديين،
- عدم اهتمام الفاعلين في القطاع الخاص بهذا النشاط الاقتصادي،
- غياب نظام تشريعي ملائم،

ومع وجود كل هذه العقبات فإن الصناعة التقليدية بشنقيط، يمكن أن تلعب دورا مهما في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وذلك إذا ما أخذنا بعين الاعتبار التوصيات التالية:

- تنمية الإبداع لدى الصناع التقليديين دون إقصاء أو تهميش،
- تشجيع انتشار منتوجات الصناعة التقليدية ذات الجودة العالية،
- التشجيع والمساهمة في خلق سوق محلي لمنتوجات الصناعة التقليدية،
- دعم منتوجات الصناعة التقليدية محليا حتى تتمكن من منافسة المنتوجات الأجنبية وذلك بالتركيز على الجودة،

---

[1] -Sall (amadou ,valorisation et sauvegarde du patrimoine dans le contexte d'une ville à vocation de tourisme culturelle /chinguity ;séminaire de formation aux profil des groupements socioprofessionnelles; 2002; p13

- دعم مشاركة الصناع التقليديين في المعارض الدولية وإبراز خصوصية الصناعات التقليدية ذات البعد التراثي،
- دمج دار الصناعة التقليدية بشنقيط ضمن الدورة السياحية باعتبارها محطة رئيسية،
- تبني تنظيم معارض سنوية في شنقيط خاصة بعرض وبيع منتوجات الصناعة التقليدية المحلية وتشجيع المنافسة في الإبداع بتخصيص جائزة "الصانع التقليدي المبدع"،
- تزويد متحف مدينة شنقيط بكل أدوات الصناعة التقليدية المحلية النادرة والمتميزة،
- العمل على تنظيم الصناع التقليديين بشنقيط في إطار تكتلات كبيرة ودعمهم اقتصاديا من خلال صندوق محلي للقرض والادخار خاص بالصناع التقليديين الشناقطة، (CECACH)
- دعم قدرات الصناع التقليديين في مجال الترقية والتسويق والترويج والتسيير،
- وضع إستراتيجيات لتسويق منتوجات الصناعة التقليدية خاصة خلال الموسم السياحي (بالتعاون مع الهيئات العاملة في الحقل السياحي)،

ولتحقيق التكامل بين المحافظة على التراث الثقافي لهذه الحاضرة الثقافية العتيقة وتنميته لابد أن تلعب وسائل الإعلام الدور المنوط بها في هذا المجال، وذلك من خلال رسم إستراتيجية إعلامية ثقافية تعتمد في المقام الأول على إبراز العرض السياحي في المدن التاريخية وخصائصه وتوظيف

الإمكانات البشرية والمادية والثقافية المتاحة لموائمتها مع متطلبات هذه الصناعة العالمية، بغية الاستفادة منها[1].

وهذا لن يتم إلا بتضافر كل الجهود، من تدخل بناء للدولة ومؤسساتها وشركائها في التنمية، وكذا الهيئات الفاعلة في المجتمع المدني وكل الخيرين وأصحاب الضمائر الحية.

وتبقى المسؤولية الأولى منوطة بأهل شنقيط الأصليين وأطرها، الذين هم اليوم مطالبون أكثر من أي وقت مضى بالعودة الطوعية إلى حاضرتهم التاريخية من أجل المشاركة الفاعلة في تنمية مدينتهم والمحافظة على رصيدها التاريخي والحضاري.

---

[1]– Stratégie de communication pour faire connaître la Mauritanie comme destination touristique ;Ministère du commerce de l'artisanat et du tourisme; Nktt 2002; pp 53 ;54